حكايات لافونتين

الذِّئبُ وَالثّعْلَبُ





وُلِدَ جان دو لافونتين في العامِ ١٦٢١ في بَلْدَةِ شاتو تييري الفَرَنْسِيَّةِ. دَرَسَ المُحاماةَ لَكِنَّهُ لَمْ يُمارِسْها. الأَدَبُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذي خَلَّدَهُ. كَتَبَ حِكاياتٍ كَثيرَةً جاءَتْ شِعْرًا في أَكْثَرِها. وَمَعَ أَنَّهُ اقْتَبَسَ العَديدَ مِنْ شَخْصِيّاتِهِ مِنْ حِكاياتِ إيسوب وَمِنَ الحِكاياتِ العَرَبِيَّةِ والمَشْرِقِيَّةِ، فإنَّ العَديدَ مِنْها أَيْضًا هُوَ نَقْدٌ مُسْتَتِرٌ لِلأَوْضاعِ الَّتي كانَتْ سائدَةً في ذلِكَ الزَّمانِ.

لا شَكَّ أَنَّهُ أَرادَ أَنْ يَقولَ عَلى لِسانِ الحَيَوانِ أَشْياءَ لَمْ يَكُنْ قادِرًا عَلى قَوْلِها صَراحَةً. فَلِلْحَيَوانات في حِكاياتِهِ مَواقِفُ بَشَرِيَّةٌ وَمَنْطِقٌ. وَلِذا كانَ لَها دَوْرٌ كَبيرٌ في نَقْلِ الأَفْكارِ إلى النّاسِ، وَبِخاصَّةٍ أُولئِكَ الَّذين كانَتِ الحَيَواناتُ جُزْءًا مِنْ حَياتِهِم اليَوْمِيَّةِ.



حكايات لافونتين

الذِّئبُ وَالثَّعْلَبُ

وَحِكايَاتٌ أُخْرَى



أعدّت النّصّ العربيّ : ناديا دياب
رُسوم : هاري وِنچفيلد

مكتبة لبنان

في حِكاياتِ لافونتين تَوْجيهاتٌ تَرْبَوِيّةٌ غَيْرُ مُباشِرَةٍ، تُضافُ إلى عُنْصُرِ التَّشْويقِ. وفيها روحُ الدُّعابَةِ وقُوَّةُ الحِكْمَةِ والبَساطَةُ الّتي هِيَ عَمَلُ إبْداعٍ.
تَصْلُحُ هٰذِهِ الحِكاياتُ لِلصِّغارِ والكِبارِ، وتُزَيِّنُها رُسومٌ رائِعَةُ الأَلْوانِ.

المُحْتَوَيَاتُ

الذِّئْبُ والثَّعْلَبُ

قالَ الثَّعْلَبُ لِلذِّئْبِ يَوْمًا: «لَكَمْ أَتَمَنّى لَوْ كُنْتُ ذِئْبًا، أَعيشُ في أَعْلى التِّلالِ عيشةً هَنِيَّةً آمِنَةً، وأَحْظى، مَتى شِئْتُ، بِغَنَمَةٍ سَمينَةٍ لَذيذَةٍ. أَمّا أَنا، فَعَلَيَّ أَنْ أَتَسَكَّعَ حَوْلَ المَزْرَعَةِ، مُخاطِرًا بِحَياتي، ولا أَنالَ أَكْثَرَ مِنْ دَجاجَةٍ هَزيلَةٍ أَوْ ديكٍ عَجوزٍ. أَلا عَلِّمْني أَساليبَكَ! فَلَيْسَ أَشْهى عَلى قَلْبي مِنْ أَنْ أَغْرِزَ أَسْناني في شَيْءٍ مِنْ لَحْمِ الغَنَمِ السَّمينِ اللَّذيذِ!»

أَجابَ الذِّئْبُ: «مَطْلَبٌ يَسيرٌ! فَقَدْ ماتَ لي عَمٌّ طاعِنٌ في السِّنِّ، ولا أَحْسَبُ أَنَّ في استِعْمالِ جِلْدِهِ ما يُضيرُ. اِلْبَسْ جِلْدَهُ تُرْعِبْ أَشَدَّ كِلابِ الرُّعْيانِ بَأْسًا وَقُوَّةً.»

وَهٰكَذا لَبِسَ الثَّعْلَبُ جِلْدَ ذِئْبٍ، وَراحَ يَتَدَرَّبُ عَلى أَساليبِ الذِّئابِ. وَسُرْعانَ ما أَلِفَ أَساليبَها وَتَعَلَّمَ أَنْ يَنْظُرَ نَظَراتِها، وَأَصْبَحَ مُسْتَعِدًّا أَنْ يَعيشَ حَياتَها.

أَتى التَّلَّةَ قَطيعٌ مِنَ الأَغْنامِ فَانْقَضَّ الثَّعْلَبُ عَلَيْهِ. وَبَدا مِنِ انْقِضاضِهِ أَنَّهُ ذِئْبٌ حَقيقِيٌّ، فَارْتاعَ الرّاعي وَهَرَبَ، وَكَذٰلِكَ هَرَبَ الكَلْبُ وَالأَغْنامُ، وَوَقَعَتْ نَعْجَةٌ سَمينَةٌ شَهِيَّةٌ بائِسَةٌ في مُتَناوَلِ الثَّعْلَبِ.





عَلى أَيٍّ حالٍ ، وَصَلَ ضَجيجُ تِلْكَ المُطارَدَةِ إلى الوادي ، فارْتاعَ الدِّيكُ العَجوزُ وَراحَ يَصيحُ بِأَعْلى صَوْتِهِ.





تَوَقَّفَ الثَّعْلَبُ وَأَخَذَ يُنْصِتُ إلى ذلِكَ الصَّوْتِ القَديمِ الأَليفِ. اِخْتَرَقَ الصَّوْتُ قَلْبَهُ ، وَأَحَسَّ كَأَنَّ فيهِ الدَّعْوَةَ المَأْلوفَةَ إلى العَشاءِ. فَنَسِيَ ثَوْبَ قَنْصِهِ الجَديدَ ، وَنَسِيَ دُروسَ قَنْصِهِ ، وَغَنَمَتَهُ السَّمينَةَ اللَّذيذَةَ ، وَراحَ يَقْفِزُ إلى المَزْرَعَةِ قَفْزًا لِيَعيشَ حَياتَهُ القَديمَةَ.

الطَّبْعُ يَغْلِبُ التَّطَبُّعَ.



البَغْلَةُ وَصاحِبُها

يُحكَى أنَّ رَجُلًا ثَقيلَ الوَزْنِ رَكِبَ بَغْلَتَهُ العَجوزَ وَصَعِدَ بِها تَلَّةً عالِيَةً. وَصَلَ الرَّجُلُ إلى مَرْجٍ صَغيرٍ غَنِيٍّ بِالعُشْبِ الأَخْضَرِ. فَرَأى ذٰلِكَ فُرْصَةً لإطْعامِ بَغْلَتِهِ المُنْهَكَةِ دونَ كُلْفَةٍ. تَرَجَّلَ عَنْ بَغْلَتِهِ وَتَرَكَها في المَرْجِ طَليقَةً. فَراحَتْ تَثِبُ مَرَحًا، وَتَنْهَقُ ابْتِهاجًا نَهيقًا تَهْتَزُّ مِنْهُ التِّلالُ!

وَصَلَ نَهيقُها إلى عِصابَةٍ مِنَ اللُّصوصِ، فَرَأَوْا في ذٰلِكَ فُرْصَةً لا تُعَوَّضُ. وَحينَ رَأى الرَّجُلُ اللُّصوصَ آتينَ إلَيْهِ نادى بَغْلَتَهُ وَقالَ: «أَسْرِعي، تَعالَيْ إلى هُنا. اِقْتَرِبي مِنّي لِنَهْرُبَ قَبْلَ أَنْ يَفوتَ أَوانُ الهَرَبِ!»



قالَتِ البَغْلَةُ: «أُهْرُبْ أَنْتَ! وَلِمَ أَهْرُبُ أَنا؟ لَنْ يَضَعوا عَلى ظَهْري سَرْجَيْنِ، وَلَنْ يُحَمِّلوني ضِعْفَ ما تُحَمِّلُني أَنْتَ.»

قالَ الرَّجُلُ: «صَحيحٌ، وَلٰكِنْ...»

«فَلا يَهُمُّني، إذًا، مَنْ يَكونُ صاحِبي. أُنْجُ أَنْتَ بِنَفْسِكَ، فَلَنْ تَقْدِرَ عَلى إمْساكي. مَنْ كانَ يَشْقى مِثْلي في عَمَلِهِ لَنْ يَهُمَّهُ إنْ كانَ صاحِبُهُ هٰذا الرَّجُلُ أَوْ ذاكَ!»

سوءُ المُعامَلَةِ يَقْتُلُ المَحَبَّةَ.





الفأرُ والقِطُّ والدِّيكُ



خَرَجَتْ فَأْرَةٌ صَغيرَةٌ مِنْ بَيْتِها. وَكانَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِها وحْدَها. وَسُرْعانَ ما عادَتْ مَذْعورَةً بَعْدَ أَنْ نَجَتْ مِنَ المَوْتِ، وَقَصَّتْ عَلى أُمِّها ما حَدَثَ لَها. قالَتْ:

«ما إنْ وَصَلْتُ إلى المَزْرَعَةِ حَتّى اعْتَرَضَني مَخْلوقانِ عِمْلاقانِ. الأَوَّلُ هادِئٌ وَلَطيفٌ، وَالثّاني مُخيفٌ شَرِسٌ وَذو ذَيْلٍ مُتَمَوِّجٍ وَصَوْتٍ مُريعٍ وَرَأْسٍ أَحْمَرَ ضَخْمٍ وذِراعَيْنِ مَبْسوطَتَيْنِ تُصَفِّقانِ عَلى جانِبَيْهِ تَصْفيقًا صاخِبًا. لَقَدْ كانَ، يا أُمّي، مُخيفًا، أَدْخَلَ الرُّعْبَ في قَلْبي فَهَرَبْتُ إلى البَيْتِ. وَكُنْتُ أَتَمَنّى كَثيرًا أَنْ أَبْقى مَعَ المَخْلوقِ الثّاني. كانَ لَطيفًا ذا فِراءٍ مُخْمَلِيٍّ ناعِمٍ، وَشارِبَيْنِ طَويلَيْنِ رائِعَيْنِ، وَأُذُنَيْنِ تُشْبِهانِ أُذُنَيَّ، وَصَوْتٍ دافِئٍ، وَعَيْنَيْنِ واسِعَتَيْنِ ساحِرَتَيْنِ.»

أَجابَتِ الأُمُّ: «ما أَسْعَدَني بِعَوْدَتِكِ سالِمَةً يا ابْنَتي! لَقَدْ كُنْتِ في خَطَرٍ جَسيمٍ. فَصَديقُكِ اللَّطيفُ هُوَ القِطُّ المُريعُ، آكِلُ الفِئْرانِ. إنَّهُ الَّذي أَكَلَ أَباكِ وَجَدَّكِ وأَخاكِ. أَمّا الآخَرُ، ذو الصَّوْتِ العالي، فَهُوَ صَديقُنا الطَّيِّبُ الدّيكُ. وَلَقَدِ اصْطَنَعَ كُلَّ ذلِكَ الضَّجيجِ لِيُنْقِذَكِ وَيُعيدَكِ إلَيَّ سالِمَةً.»

لا تَغُرَّنَّكَ المَظاهِرُ.

خِلافٌ بَيْنَ صَديقَيْنِ



اِخْتَصَمَ صَديقانِ قَديمانِ حَوْلَ أَمْرٍ تافِهٍ. وَنَشِبَ بَيْنَهُما جِدالٌ لَمْ يُحاوِلْ أَيٌّ مِنْهُما التَّخْفيفَ مِنْ حِدَّتِهِ.

تَطَوَّرَ الجِدالُ، وَالْتَهَبَتِ الحَماسَةُ، وَعَلا الصُّراخُ، وَاشْتَدَّ الغَضَبُ، فَتَدَخَّلَ صَديقٌ مُصْلِحًا بَيْنَهُما مُحاوِلًا تَهْدِئَةَ غَضَبِهِما.

قالَ: «تَعالا مَعي!» ثُمَّ أَخَذَهُما إِلى بِرْكَةِ ماءٍ صَغيرَةٍ ساكِنَةٍ، وَطَلَبَ مِنْهُما أَنْ يَنْظُرا إِلى انْعِكاسِ صورَتِهِما في الماءِ.

ثُمَّ تَناوَلَ عَصًا وَحَرَّكَ الماءَ بِقُوَّةٍ، مُحَوِّلًا إِيّاهُ إِلى ماءٍ مُوحِلٍ غَليظِ القِوامِ.



قالَ: «أَتَرَيانِ نَفْسَيْكُما الآنَ؟ طَبْعًا لا تَرَيانِهِما وَسْطَ هٰذا الاضْطِرابِ. اِبْتَعِدا قَليلًا رَيْثَما يَهْدَأُ الماءُ. ثُمَّ عودا، وَسَتَرَيانِ وَجْهَيْكُما الحَقيقِيَّيْنِ مُجَدَّدًا.»

عادَ كُلٌّ مِنَ الرَّجُلَيْنِ إِلى بَيْتِهِ يُفَكِّرُ في مَعْنى الدَّرْسِ الَّذي اخْتَبَرَهُ.

وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصيرٍ، أَدْرَكا كِلاهُما أَنَّ خِلافَهُما تافِهٌ وَلا مَعْنى لَهُ، فَعادا صَديقَيْنِ حَميمَيْنِ كَما كانا دائِمًا.

الماءُ العَكِرُ لا يَعْكِسُ الوَجْهَ الحَقيقِيَّ.



الأَسَدُ العَليلُ

أَعلَنَ الأَسَدُ ، مَلِكُ الغابَةِ ، أَنَّهُ لَمّا كانَ عَليلاً لا يَقْدِرُ على تَرْكِ كَهْفِهِ ، فَعَلى كُلِّ جِنْسٍ مِنَ الحَيَوانِ أَنْ يُرْسِلَ واحِدًا مِنْ أَفْرادِهِ لِزِيارَتِهِ .





عَرينُ الأَسَد

وَأَعلَنَ أَيْضًا أَنَّ أَيًّا مِنَ الحَيَواناتِ الَّتي تَدْخُلُ الكَهْفَ - سَواءٌ أَكانَ ذٰلِكَ الحَيَوانُ ثَوْرًا أَوْ حِمارًا أَوْ حِصانًا أَوْ غَزالًا أَوْ أَيَّ حَيَوانٍ آخَرَ - سَيَكونُ آمِنًا ، وَأَنَّ هٰذا الأَمانَ يَضْمَنُهُ وَعْدُ مَلِكِ الوُحوشِ .

وَهٰكَذا تَوافَدَتِ الحَيَواناتُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ وَدَخَلَتْ عَرينَ الأَسَدِ ، إِلّا الثَّعالِبَ . فَقَدْ قالَ ثَعْلَبٌ لِصاحِبِهِ :

«آثارُ الأَقْدامِ كُلُّها تَدُلُّ عَلى دُخولِ الحَيَواناتِ عَرينَ المَلِكِ ، وَلا تَدُلُّ على خُروجِها مِنْهُ !»

صَدِّقْ ما تَراهُ العَيْنُ لا ما تَسْمَعُهُ الأُذُنُ .

الدِّيكانِ المُتَصارِعانِ

تَصارَعَ ديكانِ ، بَعْدَ أَنْ كانَتْ بَيْنَهُما صَداقَةٌ حَميمَةٌ ، لِلسَّيْطَرَةِ عَلى دَجاجاتِ المَزْرَعَةِ. تَصارَعا تَصارُعًا شَرِسًا طَوالَ النَّهارِ ، إِلى أَنِ اسْتَسْلَمَ الصَّغيرُ مِنْهُما بَعْدَ أَنْ غُلِبَ عَلى أَمْرِهِ وَنُتِفَ بَعْضُ ريشِهِ وَامْتَلأَ جِراحًا. رَكَضَ وَاخْتَبَأَ في مَكانٍ مُنْزَوٍ لِيُداوِيَ جِراحَهُ وَيَسْتَعيدَ قُواهُ وَشَجاعَتَهُ.

أَمّا الدِّيكُ المُنْتَصِرُ فَلَقَدْ مَلأَهُ الغُرورُ ، وَدَبَّتْ فيهِ نَشْوَةُ النَّصْرِ ، فَراحَ يَصيحُ بِأَعْلى صَوْتِهِ صِياحَ المُنْتَصِرِ المَغْرورِ. وَظَلَّ أَيّامًا يُعْلِنُ بِأَعْلى صَوْتِهِ أَنَّهُ قَوِيٌّ شُجاعٌ لا يُقْهَرُ.





عَلى أيِّ حالٍ ، فَقَدْ وَصَلَ صِياحُ ذٰلِكَ الدِّيكِ وهِياجُهُ إلى أَماكِنَ بَعيدَةٍ . فَأَقْبَلَ نَسْرٌ مِنَ النُّسورِ الجائِعَةِ وَانْقَضَّ عَلى الدِّيكِ المُدَّعي ، وَقَدْ شَرَعَ في وَصْلَةٍ جَديدَةٍ مِنَ الصِّياحِ ، وَحَمَلَهُ مَعَهُ طَعامًا لِعَشائِهِ .

أَمّا الدِّيكُ الآخَرُ ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ مَخْبَئِهِ سَعيدًا مُعافًى ، وَأَسْرَعَ يَحُلُّ مَحَلَّ الدِّيكِ المُدَّعي في تَصْريفِ أُمورِ جَماعَتِهِ وَالعِنايَةِ بِدَجاجاتِهِ .

الغُرورُ مَجْلَبَةٌ لِلهَلاكِ .







بائعةُ الحَليبِ (اللَّبَن)

حَمَلَتْ بائعةُ الحَليبِ جَرَّةَ حَليبِها الدَّسِمِ فَوْقَ رأْسِها ، وَراحَتْ تَعْبُرُ الحُقولَ ، وَهْيَ في طَريقِها إلى السُّوقِ ، مَرِحَةً .

وَطَوالَ الطَّريقِ ، كانَتِ الخَواطِرُ السَّعيدَةُ تَمْلأُ رأْسَها. فَتَحْسُبُ الثَّمَنَ الَّذي قَدْ تَبيعُ بِهِ الحَليبَ ، وَما يُمْكِنُ أَنْ تَفْعَلَهُ بِذلِكَ المَبْلَغِ اللَّطيفِ ، وَتَبْني لِلمُسْتَقْبَلِ خُطَطًا :

«سَأَشْتَري بِثَمَنِ الحَليبِ مِئةَ بَيْضَةٍ ، وَأَسْتَعيرُ دَجاجاتٍ لِتَفْقيسِ البَيْضِ. وَسَتَرْكُضُ الصِّيصانُ في ساحَةِ الدّارِ ، وَحينَ تَكْبَرُ أَبيعُها وَأَشْتَري بِثَمَنِها حَمَلًا.

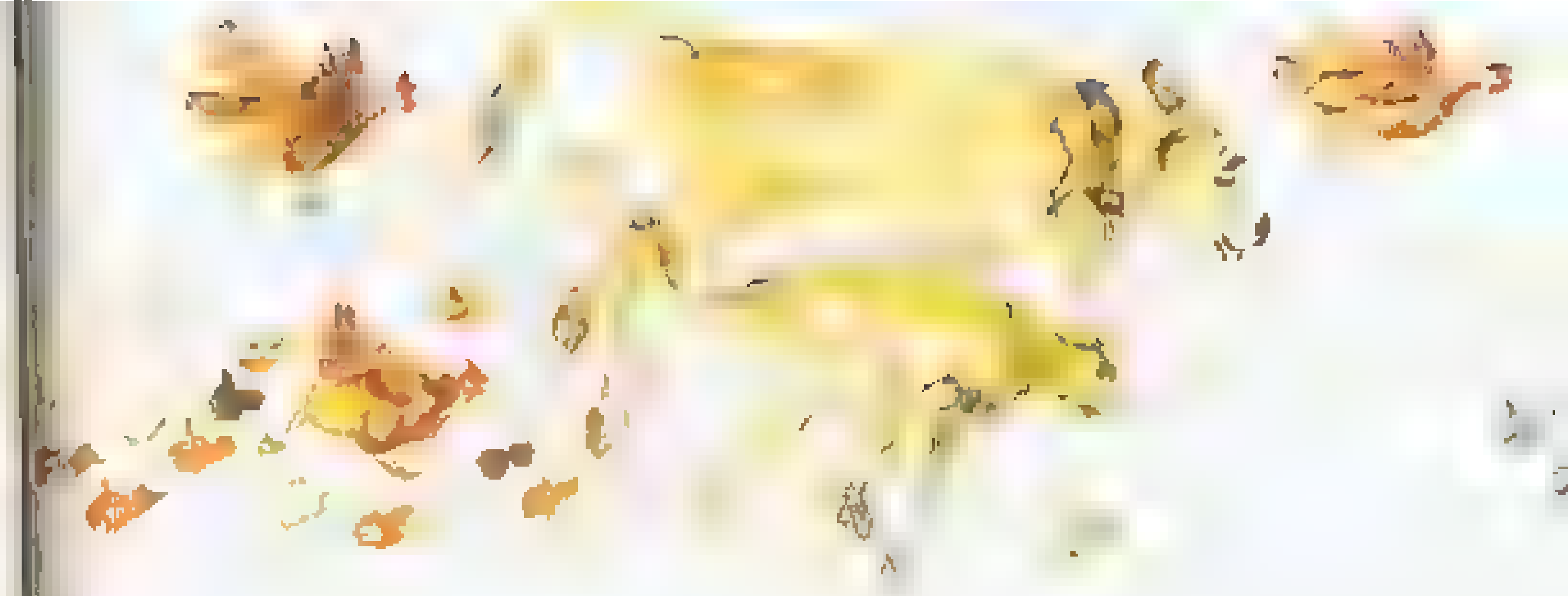


«الحُمْلانُ سَرِيعَةُ النُّمُوِّ. وَحِينَ يُصْبِحُ حَمَلي خَرُوفًا كَبيرًا سَمينًا سَأَبيعُهُ بِثَمَنٍ كَبيرٍ مُغْرٍ



«ثُمَّ أَشْتَري بِثَمَنِهِ بَقَرَةً بُنِّيَّةً لَطالَما تَمَنَّيْتُ أَنْ أَمْلِكَ بَقَرَةً بُنِّيَّةً. وَالبَقَرَةُ تَلِدُ عِجْلًا، وَسَيَكونُ عِجْلًا بُنِّيًّا. ما أَجْمَلَ العِجْلَ وَهُوَ يَقْفِزُ حَوْلي وَيَلْعَبُ!»





مَلأَتْ هذِهِ الخَواطِرُ قَلْبَها بِسَعادَةٍ غامِرَةٍ ، فَبَدأَتْ تَقْفِزُ في الحُقولِ وَتَرْكُضُ. فَجْأَةً ، عَثَرَتْ بِحَجَرٍ وَوَقَعَتْ.

وسَقَطَتِ الجَرَّةُ عَلى الأَرْضِ وَانْكَسَرَتْ. وَضاعَ الحَليبُ ، وَمَعَهُ ضاعَ العِجْلُ وَالبَقَرَةُ وَالحَمَلُ وَالصِّيصانُ وَالبَيْضُ ، وَفَوْقَ ذلِكَ كُلِّهِ ضاعَتِ الأَحْلامُ الحُلْوَةُ. وَلَمْ يَبْقَ لِبائِعَةِ الحَليبِ غَيْرُ قِصَّةٍ مُحْزِنَةٍ تَرْويها عِنْدَ عَوْدَتِها إلى البَيْتِ.

لكِنْ   لا تَبْكِ عَلى جَرَّةٍ مَكْسورَةٍ !





حِصَّةُ الأَسَدِ

خَرَجَ الأَسَدُ وَالذِّئْبُ وَالضَّبُعُ وابْنُ آوى لِلصَّيْدِ مَعًا. وَمَعًا اصْطَدَتْ غَزالاً قالَ الأَسَدُ: «نَجْعَلُ هذا الصَّيْدَ في أَرْبَعَةِ أَقْسامٍ مُتَساوِيَةٍ.» وَرأى الجَميعُ في ذلِكَ إِنْصافًا.

ثُمَّ قالَ: «القِسْمُ الأَوَّلُ حِصَّتي، لِأَنّي أَنا الأَسَدُ، مَلِكُ الغابَةِ.» وَرأَتِ الوُحوشُ الأُخرى في ذلِكَ أَمْرًا مَفْهومًا.

ثُمَّ قالَ: «وَالقِسْمُ الثّاني حِصَّتي، لِأَنّي أَنا الأَشْجَعُ. وَالقِسْمُ الثّالِثُ حِصَّتي، لِأَنّي أَنا الأَقْوى.. أَمّا القِسْمُ الرّابِعُ فَإِنَّ مَنْ يَجْرُؤُ عَلى مَدِّ يَدِهِ إِلَيْهِ أُمَزِّقُهُ إِرْبًا إِرْبًا!» فَلَمْ يَرُقْ ذلِكَ لِأَحَدٍ مِنَ الوُحوشِ، وَلكِنَّها سَكَتَتْ جَميعُها.

القَوِيُّ دائمًا عَلى حَقٍّ.





النّاجونَ الأَرْبَعَةُ

نَجا أَرْبَعَةُ رِجالٍ مِنْ سَفينَةٍ غارِقَةٍ ، وَوَصَلوا إلى جَزيرَةٍ غَريبَةٍ نائِيَةٍ ، وَهُمْ في حالَةٍ يُرْثى لَها مِنَ البَرْدِ وَالجوعِ وَالعَطَشِ. وَراحوا يُفَكِّرونَ في أَفْضَلِ وَسيلَةٍ لِكَسْبِ المَعيشَةِ في تِلْكَ الجَزيرَةِ.

قالَ واحِدٌ مِنْهُمْ - وَكانَ رَجُلَ مَصارِفَ غَنِيًّا - «سَأُعَلِّمُ سُكّانَ الجَزيرَةِ الحِسابَ وَالمُحاسَبَةَ ، وَسَيَدْفَعونَ لي مالًا.» وَقالَ الثّاني - وَكانَ وَزيرًا : «سَأُعَلِّمُهُمْ كَيْفَ يَحْكُمونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَسَيَدْفَعونَ لي مالًا.» وَقالَ الثّالِثُ - وَكانَ رَجُلَ دينٍ : «سَأُبَصِّرُهُمْ بِقَضايا دينِهِمْ ، وَسَيَدْفَعونَ لي مالًا.»

سُرَّ الثَّلاثَةُ بِالأَفْكارِ الَّتي طَرَحوها سُرورًا بالِغًا. لكِنَّ الرّابِعَ - وَكانَ مُزارِعًا تَعَوَّدَ أَنْ يَكونَ عَمَلِيًّا - قالَ : «عَظيمٌ! أَفْكارٌ نَبيهَةٌ ، وَلكِنْ كَيْفَ





تَأْكُلونَ رَيْثَما تَجِدونَ أُولئِكَ الَّذينَ قَدْ يَدْفَعونَ وَقَدْ لا يَدْفَعونَ لِقاءَ ما تُعَلِّمونَهُمْ إِيّاهُ؟ أَمّا أَنا فَإِنّي ذاهِبٌ إلى الغابَةِ أَحْتَطِبُ ، وَسَأَبيعُ حَطَبي وَأَشْتَري طَعامًا ، وَسَأَفْعَلُ ذلِكَ حالًا قَبْلَ أَنْ نَموتَ جَميعُنا جوعًا!»

العَمَلُ خَيْرٌ مِنَ الكَلامِ.

الثَّعْلَبُ وَالتَّيْسُ

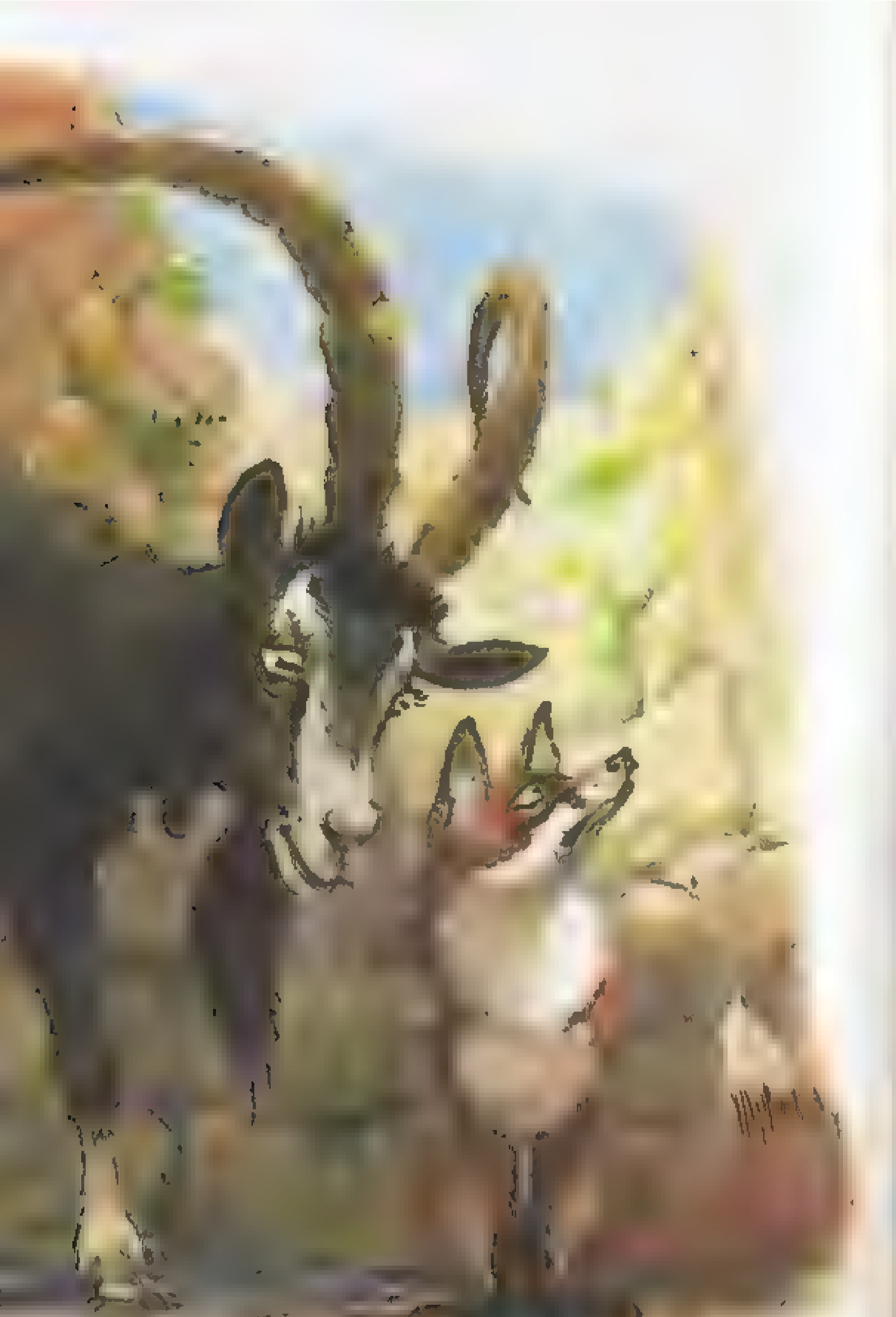
مَشى ثَعْلَبٌ في الرِّيفِ يَتَنَزَّهُ ، وَمَشى مَعَهُ صَديقُهُ التَّيْسُ . وَكانَ التَّيْسُ ذا قَرْنَيْنِ طَويلَيْنِ رائِعَيْنِ وَلِحْيَةٍ طَويلَةٍ بَديعَةٍ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرى أَبْعَدَ مِنْ مِنْخَرَيْهِ ، كَما يَقولونَ ، وَبِعِبارَةٍ أُخْرى كانَ غَبِيًّا . وَطَبْعًا لَمْ يَكُنِ الثَّعْلَبُ كَذٰلِكَ .

اِشْتَدَّ الحَرُّ وَأَصابَهُما عَطَشٌ شَديدٌ . وَجَدا بِئْرًا قَديمَةً فَقَفَزا إِلى داخِلِها لِيَشْرَبا مِنْ مائِها البارِدِ .

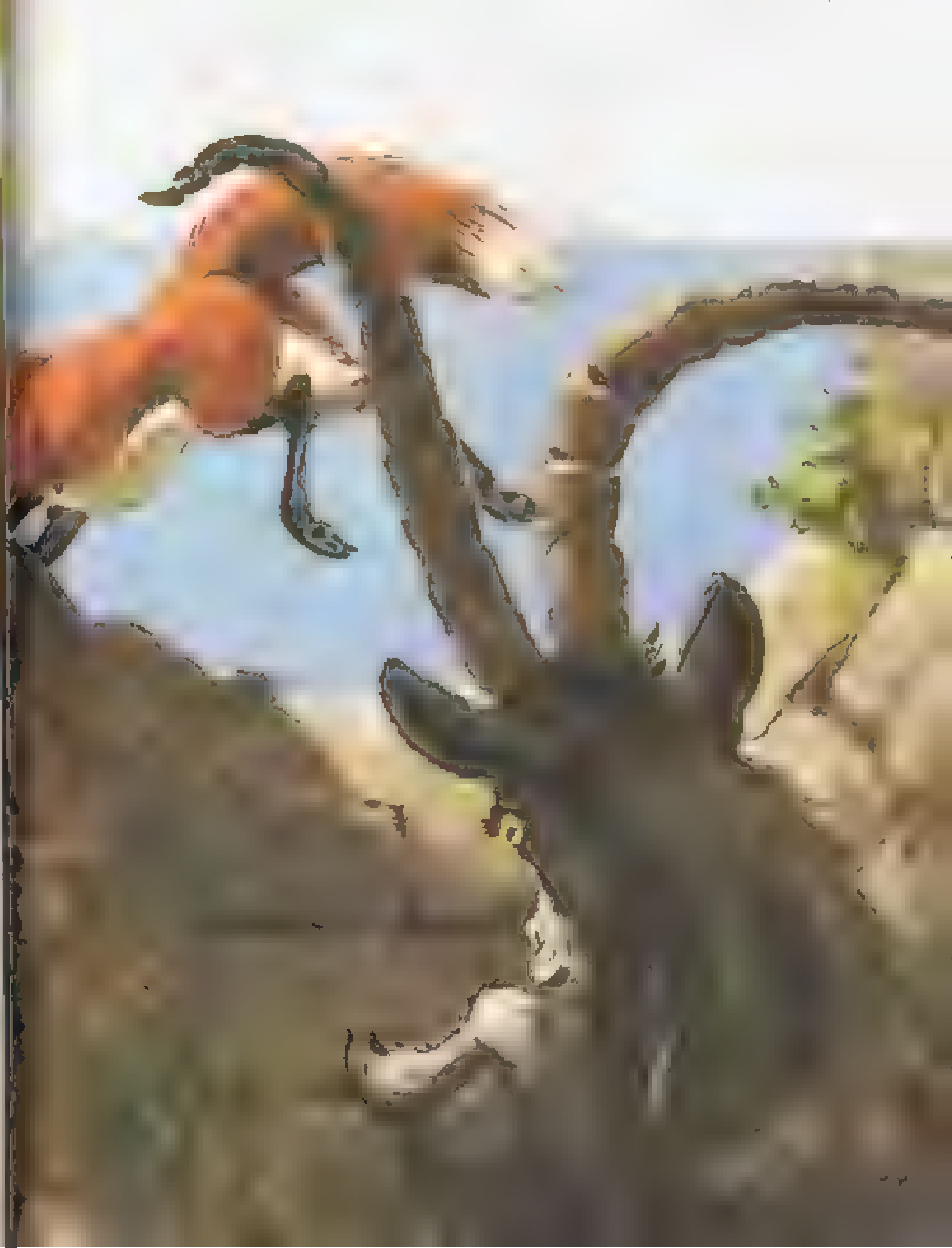
وَلَمْ يُدْرِكا أَنَّ البِئْرَ عَميقَةٌ إِلّا بَعْدَ أَنْ وَجَدا نَفْسَيْهِما عالِقَيْنِ داخِلَها .

قالَ الثَّعْلَبُ : «لَنْ نَبْقى هُنا ساكِنَيْنِ طَوالَ النَّهارِ ! عِنْدي فِكْرَةٌ . قِفْ عَلى قائِمَتَيْكَ الخَلْفِيَّتَيْنِ وَأَسْنِدْ قائِمَتَيْكَ الأَمامِيَّتَيْنِ وَقَرْنَيْكَ إِلى حائِطِ البِئْرِ ، فَأَصْعَدَ إِلى ظَهْرِكَ ثُمَّ إِلى قَرْنَيْكَ ، وَمِنْ هُناكَ أَقْفِزُ خارِجًا . وَعِنْدَها ، بِطَبيعَةِ الحالِ ، أُساعِدُكَ في الخُروجِ .»





قالَ التَّيْسُ: «يا لَكَ مِنْ داهِيَةٍ! مِثْلُ هذِهِ الفِكْرَةِ اللّامِعَةِ لَمْ تَكُنْ لِتَخْطُرَ لي على بالٍ!» وَهٰكَذا، صَعِدَ الثَّعْلَبُ إلى ظَهْرِ التَّيْسِ فَقَرْنَيْهِ، فإلى أَرْضِ الأَمانِ. لٰكِنْ، بَدَلَ أَنْ يُعينَ التَّيْسَ وَجَّهَ إِلَيْهِ خِطابًا، قالَ:





«لَوْ كانَ لَكَ مِنَ العَقْلِ في رَأْسِكَ ما لَكَ مِنَ الشَّعْرِ في لِحْيَتِكَ لَمَا رَمَيْتَ نَفْسَكَ في البِئْرِ دِئَ ذي بَدْءٍ. لَقَدْ تَدَبَّرْتُ أَمْرَ خَلاصي، وَلآنَ دَوْرُكَ لِتَتَدَبَّرَ أَمْرَ خَلاصِكَ. وَداعًا أَيُّها التَّيْسُ التَّعيسُ، فَعِنْدي ما هُوَ أَفْضَلُ مِنَ البَقاءِ هُنا وَإِضاعَةِ الوَقْتِ في الحَديثِ إِلَيْكَ.

إِحْذَرْ ذَكاءَ اللَّئيمِ.



المُنَجِّمُ

اِعْتَادَ حَكِيمٌ مِنْ حُكَمَاءِ المُنَجِّمِينَ السَّيْرَ لَيْلاً لِتَأَمُّلِ نُجُومِ السَّمَاءِ ، وَقَدِ امْتَلأَ حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً بِأَسْرَارِ الفَلَكِ.

وَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ يُحَدِّقُ فِي عَجَائِبِ الفَضَاءِ ، فَلَمْ يَرَ طَرِيقَهُ ، وَوَقَعَ فِي بِئْرٍ.

إِنْ لَمْ تَكُنْ قَادِرًا عَلَى أَنْ تَذْهَبَ حَيْثُ تَنْظُرُ ، فَانْظُرْ حَيْثُ تَذْهَبُ !



السَّيْلُ وَالنَّهْرُ

اِنْطَلَقَ أَحَدُ الفُرْسانِ بِفَرَسِهِ مُحاوِلًا التَّخَلُّصَ مِنْ عِصابَةٍ مِنَ اللُّصوصِ. وَصَلَ إلى سَيْلٍ جَبَلِيٍّ هادِرٍ صاخِبٍ يَنْحَدِرُ مَعَ سَفْحِ الجَبَلِ انْحِدارًا شَديدًا. لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَجْرُؤُ عَلى الانْحِدارِ مَعَ ذٰلِكَ السَّيْلِ، وَلٰكِنَّ الفارِسَ اخْتارَ أَنْ يَرْكَبَ السَّيْلَ عَلى أَنْ يَقَعَ بَيْنَ أَيْدي اللُّصوصِ.

دَفَعَ الفارِسُ فَرَسَهُ وَسَطَ الماءِ الهادِرِ، وَلَشَدَّ ما كانَتْ دَهْشَتُهُ حينَ وَجَدَ نَفْسَهُ قادِرًا عَلى أَنْ يَنْطَلِقَ فَوْقَهُ وَيَجْتازَهُ بِأَمانٍ. فَالسَّيْلُ، رُغْمَ سُرْعَتِهِ وَقُوَّتِهِ، لَمْ يَكُنْ شَديدَ العُمْقِ. وَلَمّا رَأى اللُّصوصُ ذٰلِكَ اجْتازوا هُمْ أَيْضًا السَّيْلَ، وَاسْتُؤْنِفَتِ المُطارَدَةُ.

وَصَلَ الفارِسُ، وَقَدْ دَبَّ بِهِ الإِعْياءُ وَاليَأْسُ، إلى نَهْرٍ هادِئٍ، تَجْري مِياهُهُ جَرَيانًا مُطْمَئِنًّا. فَانْدَفَعَ في النَّهْرِ دونَ تَرَدُّدٍ. غَيْرَ أَنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ في تَيّارٍ مائِيٍّ أَعْمَقَ مِمّا كانَ يَتَوَقَّعُ وَأَسْرَعَ وَأَعْرَضَ. تَراجَعَ اللُّصوصُ خَوْفًا حينَ رَأَوا الفارِسَ وَفَرَسَهُ يَخْتَفِيانِ تَحْتَ الماءِ وَلا يَصِلُ أَيٌّ مِنْهُمَا إلى الضِّفَّةِ الأُخْرى. إِنَّهُ وَإِنْ كانَ النَّهْرُ قَدْ أَبْعَدَ عَنِ الفارِسِ وَفَرَسِهِ اللُّصوصَ فَقَدِ اسْتَأْثَرَ بِهِما لِنَفْسِهِ.

اِحْذَرِ الماءَ الهادِئَ.

الغاقُ وَالأَسْماكُ

عاشَ طَيْرٌ مِنْ طُيورِ الغاقِ في بُحَيْرَةٍ يَصْطادُ أَسْماكَها. لَكِنَّهُ بَعْدَ أَنْ أَسَنَّ وَشَحَّ بَصَرُهُ لَمْ يَعُدْ قادِرًا عَلى الصَّيْدِ. فَأَصْبَحَ هَزيلًا ضَعيفًا، وَكانَ لا بُدَّ مِنْ عَمَلِ شَيْءٍ!

رَأى عَلى جانِبِ البُحَيْرَةِ جَرادَةَ بَحْرٍ. فَقالَ لَها: «هَلْ سَمِعْتِ النَّبَأَ؟ سَيُقيمُ صاحِبُ البُحَيْرَةِ لِأَصْحابِهِ حَفْلَةَ صَيْدٍ كُبْرى، وَسَيُزَوِّدُهُمْ بِعَشَراتِ الشِّباكِ الكَبيرَةِ، وَيَسْعى إِلى صَيْدِ أَسْماكِ هٰذِهِ البُحَيْرَةِ جَميعِها!»

أَسْرَعَتْ جَرادَةُ البَحْرِ إِلى أَسْماكِ البُحَيْرَةِ تَنْقُلُ إِلَيْها النَّبَأَ. دَبَّ الذُّعْرُ في الأَسْماكِ، لٰكِنَّها لَمْ تَهْتَدِ إِلى طَريقَةٍ لِلنَّجاةِ. فَأَرْسَلَتْ فَريقًا يَسْتَشيرُ الغاقَ في هٰذِهِ المُصيبَةِ.

قالَ فَريقُ الأَسْماكِ: «أَيُّها السَّيِّدُ الغاقُ بِمَ تُشيرُ عَلَيْنا؟»

أَجابَ الغاقُ بِخُبْثٍ بَعْدَ أَنْ تَظاهَرَ بِالتَّفْكيرِ: «لا أَرى نَجاةً إِلّا بِالخُروجِ مِنْ هٰذِهِ البُحَيْرَةِ. وَمِنْ حُسْنِ الحَظِّ أَنّي أَسْتَطيعُ المُساعَدَةَ في ذٰلِكَ. فَإِنَّ لي في أَعْلى الجَبَلِ بِرْكَةً صَغيرَةً نَظيفَةً وَلَطيفَةً، لا يَصِلُ إِلَيْها إِنْسانٌ. أَحْمِلُكِ إِلَيْها، إِذا شِئْتِ، واحِدَةً واحِدَةً. وَهُناكَ سَتَكونينَ في أَمانٍ أَكيدٍ مِنْ شِباكِ الصَّيّادينَ!»





وافَقَتِ الأَسْماكُ دونَ تَرَدُّدٍ. وَهٰكَذا، راحَ الغاقُ يَنْقُلُها، واحِدَةً واحِدَةً، إِلى بِرْكَتِهِ الصَّغيرَةِ فَوْقَ الجَبَلِ، إِلى أَنِ امْتَلَأَتْ. وَهُناكَ راحَ يَتَناوَلُ مِنْها، كَما يَحْلو لَهُ، واحِدَةً لِلفُطورِ وَأُخْرى لِلغَداءِ وَثالِثَةً لِلعَشاءِ. وَأَقامَ زَمَنًا طَويلًا مَوْفورَ الطَّعامِ.

مَصائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوائِدُ.

الغُرابُ الَّذي قَلَّدَ النَّسْرَ

اِنْقَضَّ نَسْرٌ عَلى قَطيعِ أَغْنامٍ، فَرَفَعَ حَمَلًا وَطارَ بِهِ.

رَأى غُرابٌ هٰذا المَشْهَدَ وَأَحَسَّ أَنَّهُ قادِرٌ عَلى أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ نَفْسَهُ.
بَلْ كانَ واثِقًا أَنَّهُ قادِرٌ عَلى أَنْ يَفْعَلَ أَكْثَرَ مِمّا فَعَلَ النَّسْرُ.

حَوَّمَ الغُرابُ فَوْقَ قَطيعِ الأَغْنامِ. اِخْتارَ أَكْبَرَ خَروفٍ في القَطيعِ وَانْقَضَّ عَلَيْهِ مُنْشِبًا مَخالِبَهُ في صوفِهِ الكَثيفِ، وَصَفَّقَ بِجَناحَيْهِ بِأَقْصى قُوَّتِهِ مُحاوِلًا الطَّيَرانَ بِغَنيمَتِهِ. فَلَمْ يَنْجَحْ، بِطَبيعَةِ الحالِ. وَالأَدْهى مِنْ ذٰلِكَ أَنَّ مَخالِبَهُ عَلِقَتْ في الصّوفِ الكَثيفِ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الخَلاصَ، رُغْمَ المُحاوَلاتِ اليائِسَةِ الَّتي بَذَلَها. ثُمَّ أَقْبَلَ الرّاعي وَأَمْسَكَهُ وَوَضَعَهُ في قَفَصٍ وَحَمَلَهُ إِلى بَيْتِهِ.

لا تَحْمِلْ فَوْقَ طاقَتِكَ.





الذِّئْبُ وَالكَلْبُ وَالسِّلْسِلَةُ



كانَ أَحَدُ الذِّئابِ يُعاني مِنْ جوعٍ شَديدٍ وَهُزالٍ أَكيدٍ. وَقَدِ اتَّفَقَ أَنْ رأى ذاتَ يَوْمٍ كَلْبًا ضَخْمًا قَوِيًّا سَمينًا مِنْ كِلابِ الحِراسَةِ ، وَأَدْرَكَ أَنْ لا قُدْرَةَ لَهُ عَلى التَّحَرُّشِ بِهِ. فَاقْتَرَبَ مِنْهُ وَقَدْ رَسَمَ عَلى وَجْهِهِ ابْتِسامَةً ماكِرَةً ، وَقالَ : «ما أَكْبَرَكَ وَأَسْمَنَكَ وَأَقْواكَ ، يا أَخي الكَلْبَ !»

أَجابَ الكَلْبُ : «نَعَمْ ، يا أَخي الذِّئْبَ . أَنْتَ أَيْضًا تَكونُ مِثْلي قُوَّةً وَسِمَنًا ، إِذا شِئْتَ . أُنْظُرْ إِلى هٰذا المَكانِ! أَحْراشٌ بارِدَةٌ رَطْبَةٌ ، وَلا نارَ تُدْفِئُكَ وَلا فِراشَ وَثيرًا يُؤْويكَ . تُصارِعُ نَهارَكَ كُلَّهُ بِتَحَصُّصٍ عَلى اللُّقْمَةِ تَعالَ مَعي ، وَسَأَجِدُ لَكَ وَظيفَةً تُنيلُكَ مِنْ نِعَمِ الحَياةِ ما أَدُلُّهُ أَنا نَفْسي.»

قالَ الذِّئْبُ : «ما الَّذي يُطْلَبُ مِنّي لِقاءَ ذٰلِكَ؟»

قالَ الكَلْبُ : «ما عَلَيْكَ إِلّا أَنْ تُرْعِبَ القِطَطَ وَالمُتَسَوِّلينَ العَجائِزَ البائِسينَ ، وَأَنْ تَهُزَّ بِذَيْلِكَ وَتَحْتَفِلَ بِصاحِبِكَ وَأَفْرادِ أُسْرَتِهِ وَتَنالُ لِقاءَ ذٰلِكَ طَعامًا وَفيرًا مِنْ بَقايا اللَّحْمِ وَالمَآكِلِ الشَّهِيَّةِ الأُخْرى ، وَتَحْظى أَيْضًا بِالعِنايَةِ وَالرِّعايَةِ.»

كادَ الذِّئْبُ يَبْكي فَرَحًا ، وَأَسْرَعَ يَجْري وَراءَ صَديقِهِ الجَديدِ ثُمَّ إِنَّهُ

لاحَظَ أَنَّ حَوْلَ عُنُقِ الكَلْبِ أَثَرًا خالِيًا مِنَ الشَّعْرِ.

سَأَلَ الذِّئْبُ : «ما هٰذا الَّذي في عُنُقِكَ؟»

«لا شَيْءَ ، لا شَيْءَ ذا بالٍ ، عَلى أَيِّ حالٍ.»

أَصَرَّ الذِّئْبُ عَلى السُّؤالِ ، وَقالَ ثانِيَةً : «وَلٰكِنْ ، ما هُوَ هٰذا الَّذي في عُنُقِكَ؟»

«لا بُدَّ أَنَّ الطَّوْقَ وَالسِّلْسِلَةَ تَسَبَّبا في هٰذا الأَثَرِ.»

قالَ الذِّئْبُ الهَزيلُ «طَوْقُكَ! فَأَنْتَ إِذًا لَسْتَ حُرًّا في أَنْ تَتَحَرَّكَ عَلى هَواكَ؟ هٰذا لا يُناسِبُني. تَمَتَّعْ أَنْتَ بِحَياتِكَ الهَنِيَّةِ ، أَمّا أَنا فَأُوثِرُ حُرِّيَّتي!»

وَرَكَضَ الذِّئْبُ عائِدًا إِلى حُرِّيَّةِ غاباتِهِ.

لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَنٌ.





شَجَرَةُ البَلُّوطِ وَالقَصَبُ

قالَتْ بَلُّوطَةٌ باسِقَةٌ لِعيدانِ قَصَبٍ رَفيعَةٍ تَنْبُتُ عَلى حافَةِ نَهْرٍ: «أَنا أُشْفِقُ عَلَيْكِ. أُشْفِقُ عَلَيْكِ فِعْلًا. أَنْتِ نَبَاتاتٌ بائِسَةٌ ضَعيفَةٌ. تَنْحَنينَ مَعَ أَصْغَرِ طَيْرٍ وَتَميلينَ مَعَ كُلِّ هَبَّةِ ريحٍ. لا شَكَّ أَنَّ الطَبيعَةَ لَمْ تُنْصِفْكِ. اُنْظُري إِلَيَّ! لا أَكْتَرِثُ لِلعَواصِفِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ أَتَتْ، وَلا أَهابُ شَيْئًا. لا أَنْحَني، وَلا أَتَزَحْزَحُ مِنْ مَكاني. لَيْتَكِ وُلِدْتِ في ظِلِّي وَتَحْتَ حِمايَتي، لا في مَهَبِّ الرِّيحِ عِنْدَ تِلْكَ الضَّفَّةِ. إِنّي أُشْفِقُ عَلَيْكِ فِعْلًا!»

أَجابَتْ عيدانُ القَصَبِ: «لا داعِيَ لِلشَّفَقَةِ. نَشْكُرُكِ عَلى شَفَقَتِكِ، وَلَكِنَّ الرِّيحَ لا تُزْعِجُنا. نَحْنُ نَميلُ مَعَ الرِّيحِ لِنَتَجَنَّبَ قُوَّتَها. لَعَلَّكِ صَمَدْتِ في وَجْهِها حَتّى الآنَ، دونَ أَنْ تَميلي مَعَها. وَلَكِنْ، فَلْنَنْتَظِرْ!»

لَمْ يَطُلِ الانْتِظارُ. فَقَدْ هَبَّتْ عاصِفَةٌ هَوْجاءُ ، وَكانَتْ أَسْوَأَ عاصِفَةٍ مَرَّتْ عَلى البِلادِ مُنْذُ زَمَنٍ طَويلٍ جِدًّا. وَقَفَتِ البَلّوطَةُ الباسِقَةُ صامِدَةً في وَجْهِ الرِّيحِ ، بِأَغْصانِها القَوِيَّةِ ، وَجِذْعِها الضَّخْمِ ، وَجُذورِها المُمْتَدَّةِ في الأَرْضِ. صَمَدَتْ طَويلًا. لٰكِنَّ الرِّيحَ كانَتْ ، هٰذِهِ المَرَّةَ ، لا تُقْهَرُ. راحَتْ تَشْتَدُّ وَتَشْتَدُّ ، وَتَضْرِبُ الشَّجَرَةَ الواقِفَةَ وَالَّتي تَرْفُضُ الانْحِناءَ ، حَتّى حَطَّمَتْها وَاقْتَلَعَتْها مِنْ جُذورِها وَنَثَرَتْ كِبْرِياءَهُ عَلى الأَرْضِ.

أَمّا عيدانُ القَصَبِ اللَّيِّنَةُ الَّتي كانَتْ تَميلُ مَيْلًا خَفيفًا مَعَ الرِّيحِ الخَفيفَةِ ، فَقَدْ مالَتْ هٰذِهِ المَرَّةَ كَثيرًا. لٰكِنِ انْتَهَتِ العاصِفَةُ دونَ أَنْ تُؤْذِيَها.

العودُ اللَّيِّنُ لا تَكْسِرُهُ الرِّيحُ.





الحِمَارُ المَسْرُوقُ

سَرَقَ لِصَّانِ حِمَارًا. فَقَالَ الأَوَّلُ: «سَنَبِيعُهُ.» وَقَالَ الثَّانِي: «سَنَحْتَفِظُ بِهِ.»

لَمْ يَتَّفِقا، وَعَلا صَوْتُهُمَا وَتَضارَبا. وَبَيْنَمَا كانا فِي تَقاتُلِهِمَا مَرَّ لِصٌّ ثالِثٌ، فَتَسَلَّلَ قَرِيبًا مِنْهُمَا وَسَرَقَ الحِمَارَ وَانْسَحَبَ!

إنَّ الطُّيورَ على أَشْكالِها تَقَعُ.



الصَّقْرُ وَأَنْفُ المَلِكِ

قامَ أَحَدُ مُدَرِّبي الصُّقورِ بِتَدْريبِ صَقْرٍ، ثُمَّ حَمَلَهُ إلى البَلاطِ لِيُقَدِّمَهُ هَدِيَّةً إلى مَلِكِهِ الحَكيمِ العادِلِ. وَعِنْدَما انْحَنى المُدَرِّبُ احْتِرامًا طارَ الصَّقْرُ عَن ذِراعِهِ وَحَطَّ عَلى أَنْفِ المَلِكِ، وَتَشَبَّثَ بِمَوْقِعِهِ هُناكَ.



كانَ أَنْفُ المَلِكِ كَبيرًا. وَكانَ المَلِكُ نَفْسُهُ يَتَقَبَّلُ الأَمْرَ بِروحٍ طَيِّبَةٍ مَرِحَةٍ. لٰكِنْ أَنْ يَجْثُمَ صَقْرٌ على الأَنْفِ وَيُنْشِبَ مَخالِبَهُ فيهِ، فَهٰذا كَثيرٌ!

ضَجَّ البَلاطُ، وَقامَ أَهْلُهُ يُحاوِلونَ إِبْعادَ الصَّقْرِ. وَحاوَلَ المُدَرِّبُ إِبْعادَ صَقْرِهِ بِالوَسائِلِ الَّتي يَعْرِفُها كُلَّها، وَلٰكِنْ دونَ جَدْوى. وَظَلَّ المَلِكُ طَوالَ ذٰلِكَ مُتَمَسِّكًا بِرَباطَةِ جَأْشِهِ لا يُظْهِرُ أَلَمًا. أَخيرًا عادَ الصَّقْرُ إلى ساعِدِ مُدَرِّبِهِ.

خافَ المُدَرِّبُ خَوْفًا شَديدًا وَأَيْقَنَ أَنَّهُ مَيِّتٌ لا مَحالَةَ. لٰكِنَّ المَلِكَ الحَكيمَ العادِلَ قالَ:

«لا تُؤْذوا المُدَرِّبَ وَلا صَقْرَهُ. فَلَقَدْ تَصَرَّفَ كُلٌّ مِنْهُما بِدافِعٍ مِنْ واجِبِهِ. سَعى الرَّجُلُ إلى إِرْضائي، وَسَعى الصَّقْرُ إلى الانْقِضاضِ. أَمّا أَنا فَإِنّي، كَمَلِكٍ، أَسْعى إلى العَفْوِ عَنِ الإِساءَةِ.»

لا تُعاقِبْ مَنْ قامَ بِواجِبِهِ.





سِلْسِلَةُ «حِكايات وأساطير»

Series 740 Arabic